الشواهد التاريخيَّة والحضاريَّة لأثر الوقف في مجالات التنمية الاجتماعية
التنمية التعليمية أنموذجًا

أحمد بياتلي

الملخَّص

تُعَدُّ الأوقاف من المؤسَّسات الماليَّة المهمَّة في المجتمع الإسلامي، فمنذ بداية التاريخ الإسلامي، أُنشئت أوقافٌ في مختلف المجالات يستخدمها الواقفون بغية التقرُّب الى الله، وعلى ضوئها اهتمَّ الوقفُ بالفقراء والمحتاجين، وتعدَّاه إلى معالجة الحالة الاقتصادية والصحية والثقافية والدينية والتعليمية للمجتمع.

ويهدف البحث الذي جاء في ثلاثة مباحثَ إلى دراسة الوقف بوصفه مؤسَّسة ماليَّة داعمةٍ للتنمية بمختلف أنواعها، وعلاقتِه بالتنمية الاجتماعية والتعليم خصوصًا بوصفه عنصرًا مهمًّا لكلِّ مجتمعٍ من خلال الشواهد التاريخيَّة والحضاريَّة لمؤسَّسة الوقف، ودعَّمته بالأدلَّة والأمثلة من التاريخ، إضافةً إلى مصادر الشريعة الإسلامية، وفي المبحث الثالث شرحت التحدِّيات التي تواجه الوقف والتنمية الاجتماعية من خلال التعليم، وضمَّنته بعض المقترحات في ما يتعلَّق بتفعيل دور الوقف في التنمية التعليمية.

الكلِّمات المفتاحيَّة: الوقف، التنمية الاجتماعية، التعليمية، المكتبات.

Tarihi ve Medeni Kanıtlar:Sosyal Kalkınma Alanlarında Vakıfların Rolü "Eğitimde Kalkınma Örneği"

Ahmet Beyatlı

Özet

Vakıflar, İslam toplumunda önemli finans kurumlarından biri olarak kabul edilmektedir.İslam tarihinin başlangıcından bu yana, bağış yapanların Allah'a yaklaşmak amacıyla kullandıkları çeşitli alanlarda vakıflar kurulmuş olup, bunun ışığında, bu hususa önem verilmiştir. yoksul ve muhtaçlara yönelik olup toplumun ekonomik, sağlık, kültürel, dini ve eğitim durumuna yönelik konuları da kapsayacak şekilde genişletilmiştir.

Araştırma, İslam hukukunun kaynaklarının yanı sıra, vakıf müessesesinin tarihi ve kültürel delilleri, tarihten delil ve örneklerle desteklenerek bilimsel ve eğitimsel gelişimin önemli bir unsuru olan vakfı incelemeyi amaçlamış ve vakıfların etkinleştirilmesine yönelik bazı önerilere yer vermiştir. Eğitimin gelişiminde bağışın rolü..

Anahtar kelimeler: Vakıf, eğitim, gelişim, sosyal, kütüphane.

Historical and Cultural Evidence of the Role of Waqf in Social Development "Educational Development as a Model"

Ahmet Beyatli

Abstract

Endowments are considered one of the important financial institutions in Islamic society. Since the beginning of Islamic history, endowments have been established in various fields that are used by donors in order to draw closer to God. In light of this, attention has been given to the poor and needy and has extended to addressing the economic, health, cultural, religious and educational situation of society.

The research aims to study the endowment as an important element of scientific and educational development through the historical and cultural evidence of the endowment institution, supported by evidence and examples from history, in addition to the sources of Islamic law, and included some proposals regarding activating the role of the endowment in educational development.

Keywords: Endowment, education, book library, social.

المقدِّمة

كان الوقف مصدرًا للخير والبركة والنفع للمجتمعات الإسلامية على مرِّ العصور، إذ أدَّى مهمَّة حيويَّة، وترك أثرًا في تحقيق التنمية الاجتماعية في مختلف مجالاتها، ومنها المجال التعليميُّ الذي يُعَدُّ الأساس والركيزةِ الأهمَّ من ركائز التنمية والحضارة.

إنَّ الاهتمام بالتعليم والعلم والثقافة هو من سمات الحضارة الإسلامية، ومن أهداف الشريعة الإسلامية، فقد حثَّ الإسلامُ على طلب العلم ونشره وتعليمِه وتعلُّمِه، وجعله من الواجبات الدينية والمسؤوليَّات الاجتماعية، وقد أوصى النبيَّ ﷺ بالعلم والعلماء والمتعلِّمين، فقال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ».[1]

وقد تجسَّد هذا الاهتمام بالتعليم والعلم في تاريخ الأمَّة الإسلامية بإنشاء المؤسَّسات التعليمية المختلفة، مثل المدارس والمكتبات والجامعات والمراكز العلمية، وقد كان للوقف دورٌ بارزٌ في تأسيس هذه المؤسَّسات وتمويلها وتطويرها، وشهدت العصور الإسلاميةُ السابقة نماذجَ وأمثلةً عديدةً للأوقاف التعليمية التي كانت تخدم مختلف العلوم والمستويات والفئات، إذ كانت تتميَّز بالإبداع والتجديد والتطوير، وقد أثَّرت في تشكيل الهُويَّة الإسلامية والحفاظ على التراث الإسلامي والتعريف به.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة دور الوقف في مجالات التنمية الاجتماعية، وخاصَّةً في المجال التعليمي من خلال الشواهد التاريخيَّة والحضاريَّة لبيان أهميَّتها وإمكانيَّة تجديد الدور الزاهر للوقف في تنمية التعليم.

منهجيَّة البحث

يتَّبع البحثُ منهجًا **استقرائيًّا** بالاطِّلاع على المعلومات والبيانات من المصادر الأوَّليَّة والثانويَّة وقراءتِها بتمعُّن، **ووصفيًّا** بتوضيح بعض المفاهيم الخاصَّة بالموضوع،

---

١ سنن ابن ماجه، (باب فضل العلماء والحث على طلب العلم)، ٢٢٤، ١/ ١٥١. قال عنه المحقِّق: حديث حسن بطرقه وشواهده، في ما ذهب اليه المزِّيُّ والسيوطيُّ وغيرُهما من أهل العلم.

وتحليليًّا بتحليلها ومناقشتها واستخلاص النتائج والتوصيات منها.

أسباب اختيار موضوع البحث

من الأسباب التي حفَّزتني لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

- تراجعُ دور الأوقاف في عالمنا الإسلامي.
- محاولةُ معرفة قوَّة الوقف على المجتمع الإسلامي في التاريخ.
- دفعُ الناس للإنفاق على الأوقاف خدمة للعلم والتعليم.

أهميَّة البحث

١. حثَّ الإسلام على العلم والتعلُّم؛ فأوَّل آيةٍ نزلت من القرآن في سورة العلق قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

٢. اتَّجهت الأوقاف الإسلامية إلى البِنْية التعليميَّة كونَها أساسًا من أسس صناعة المعرفة والتنمية.

٣. تميَّز عصرنا الحاليُّ بالمعرفة، إذ يُقاس تقدُّم الدول أو تخلُّفُها بمقدار إنتاجها للعلوم والمعارف.

مشكلة البحث

لم ينل التعليمُ حظَّه الكامل من الدعم والعناية في العالم الإسلامي، فهناك ضعفٌ في تمويل الوقف للتعليم وتطويره ووجود تحدِّيات ومشكلات نحاول دراستها لتجاوزها، مما حفَّزني لدراسة دور الوقف الإسلامي ونشاطه في تمويل التعليم وتطويره تاريخيًّا وحاضرًا.

الصعوبات

قلَّةُ الوثائق والأوقاف التي تبيِّن طبيعة الوقف وخصوصًا في التعليم.

حدود الدراسة

١. مكانًا هو حاضرة العالم الإسلامي.

٢. زمانًا منذ بداية التاريخ الإسلامي وإلى الآن.

٣. مجتمع الدراسة: الداعمون للأوقاف التعليمية والمستفيدون منها.

الدارسات السابقة

اعتمد البحثُ على مجموعةٍ من الأبحاث والدراسات العلميَّة أهمُّها:

– الوقف مفهومه ومقاصده، أحمد عبد الجبَّار الشعبي، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كليَّة التربية فرع جامع الملك عبد العزيز بالمدينة المنوَّرة، ١٤٢٠هـ.

– الوقف التعليمي وأثره في التنمية، تأليف عمر عبَّاس الجميلي، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري دبي، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

إضافة البحث

ميزة هذا البحث تتمثَّل في الشواهد التاريخيَّة لعلاقة الوقف بالتعليم بوصفها جزءًا من التنمية، وقد تضمَّنت مقترحاتٍ لأساليبِ دعم التعليم من خلال الوقف.

خطَّة البحث

انقسم البحث الى ثلاثة مباحث:

المبحثُ الأوَّل: مفهوم التنمية الاجتماعية وأبعادها ومؤشِّراتها.

المبحثُ الثاني: العلاقة بين الوقف والتنمية الاجتماعية، وخاصَّةً في المجال التعليمي.

المبحثُ الثالث: التحدِّيات والمشكلات التي تواجه الوقف في العصر الحاضر، والرُّؤى والمقترحات لتفعيل دوره في التنمية الاجتماعية، وخاصَّة في المجال التعليمي.

المبحث الأوَّل

مفهوم التنمية الاجتماعيَّة وأبعادها ومؤشِّراتها

المطلب الأوَّل: تعريف التنمية لغة واصطلاحًا

(١) تعريف التنمية لغةً

نما: نما الشَّيْء يَنْمُو نُموّا، ونَمَى يَنْمي نَماءً أيضًا، وأنماه الله: رَفَعَهُ، وزاد فيه إنماء، ونماه أيضًا، **وتنمية**: مصدر نمَّى، ومنها: **نمَّى إنتاجَه**: زادَه وكثَّره، وَلِهَذَا قيل: نَمَى الخِضابُ فِي الْيَد والشَّعر، إِنَّمَا هُوَ ارْتَفع وَعلا وَزَاد، فَهُوَ يَنْمي. فالتنميةُ على هذا تكون زيادة المال،[١] ونميت النار تنميةً إذا ألقيت عليها حطبًا وذكَّيته به، والنماء: الريْعُ، ونما الإنسانُ: سمِن، والناميةُ من الإبل: السَّمينة.[٢]

(٢) تعريف التنمية اصطلاحًا

تعدَّدت الأقوال في تحديد مفهوم التنمية، وسببُ ذلك اختلافُ الآراء حول ماهيَّة التنمية من جهة مجالاتها وشموليَّتها، فبعضُهم يقتصر في تحديد مفهوم التنمية على مجالٍ معيَّن كالمجال الاقتصادي، فيقوم بتعريفها من خلال هذا المجال المحدَّد للتنمية، في حين يرى بعضهم الآخرُ أنَّها عمليَّة شاملة لمختلف المجالات، فيكون تحديدُ المفهوم تبعًا لهذه الرؤية الشموليَّة للعمليَّة التنمويَّة، وعلى الرُّغم من ذلك فإنَّ كلمة التنمية بوصفها مصطلحًا ذا معنًى محدَّدٍ إذا أُطلقت انصرف معناها إلى معنى التنمية الاقتصادية.[٣]

ومن هذه التعاريف المعاصرة

- "عمليَّة مجتمعيَّة متراكمة تتمُّ في إطار نسيج من الروابط بالغِ التعقيد بسبب

---

١ معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ٢٢٨٩.

٢ تهذيب اللغة، ١٥/ ٣٧١؛ لسان العرب، ١٥/ ٣٤٢.

٣ التعليم وإشكاليَّات التنمية.

تفاعلٍ متبادلٍ بين العديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية، والإنسانُ هدفها النهائيُّ ووسيلتها الرئيسة".[١]

- وهي أيضًا: "الطريق الذي تسلكه الدول لتحقيق المستوى الإنساني اللَّائقِ لأفرادها وجماعاتها؛ من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، بصورةٍ شاملة متكاملة، في إطار قيمها وأهدافها المرسومة".[٢]

- كما أنَّها "عمليَّة التحويل الإرادي الواعي للوضع المجتمعيّ بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، من حالة التخلُّف إلى حالة التقدُّم".[٣]

المطلب الثاني: مفهوم التنمية الاجتماعيَّة وأبعادها ومؤشِّراتها

أوَّلًا: مفهوم التنمية الاجتماعيَّة: "هي عمليَّة تغيير اجتماعي مخطَّطةٌ ومدروسةٌ بشكل منظَّم للانتقال بالمجتمع من وضع إلى وضعٍ أفضل، فهي أساس تقدُّم المجتمعات؛ إذ تحظى التنميةُ الاجتماعية باهتمام خاصٍّ من قِبل الدول كافَّةً، سعيًا منها إلى تحقيق أثرٍ إيجابيّ في شعوب مجتمعاتها، وتطويرِ قدراتهم وأعمالهم وتمكينِهم في المجالات كافَّةً؛ الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحيَّة وسواها".[٤]

ثانيًا: أبعاد التنمية الاجتماعيَّة: وهي المجالات التي تشملها وتتأثَّر بها، وتشمل:[٥]

- **البعدَ الفرديَّ**: وهو يتعلَّق بتحسين مستوى الحياة والرفاهية والرضا للأفراد، وتنمية قدراتهم ومهاراتِهم ومواهبِهم ومشاركتِهم في العمليَّة التنمويَّة.

- **البعدَ الجماعيَّ**: وهو يتعلَّق بتعزيز التماسك والتكافل والتعاون والتضامن بين الجماعات والفئات والمنظَّمات الاجتماعية، وتحقيق العدالة والمساواة والتنوُّع والتكاملِ بينها.

---

١ التنمية وسبلها في العالم العربي، ٦٠.
٢ التربية وتنمية المجتمع العربي، ١/ ١٠٨.
٣ مدخل إلى التخطيط والتنمية، ١/ ٢٦.
٤ مفهوم التنمية الاجتماعية: رؤية مستقبلية، ١/ ١٩.
٥ التنمية الشاملة والتنمية البشرية، ٢٠٠٤؛ حقيقة التنمية في العالم الإسلامي، ٤٣.

- **البعدَ البيئيَّ**: وهو يتعلَّق بالحفاظ على الموارد الطبيعية والبيئية والتنوُّع الحيويِّ، والتصدِّي للتلوُّث والتغيُّر المناخيِّ والكوارث الطبيعية، وتحقيق التوازن بين الاستخدام والحماية للبيئة.

- **البعدَ الثقافيَّ**: وهو يتعلَّق بالحفاظ على الهُويَّة والتراث والقيم والعادات والمعتقدات الاجتماعية، والتعريفِ بها والترويجِ لها، والانفتاحِ على الثقافات الأخرى والتبادل معها.

ثالثًا: مؤشِّرات التنمية الاجتماعيَّة: وهي الأدوات والمقاييس التي تُستخدم لقياس مدى تحقيق التنمية الاجتماعيَّة وتقييم أدائِها، وتحديدِ نقاط القوَّة والضعف فيها، وتشمل:

- **مؤشِّرات الحياة الاجتماعية**: التي تبيِّن مستوى الرضا والسعادة والثقة والأمن والحريَّة والحقوق والواجبات للأفراد والجماعات في المجتمع.

- **مؤشِّرات الصحَّة والتعليم**: وتشتمل على تحديد مستوى الصحة البدنية والنفسية والوقاية من الأمراض والمعالجة منها، ومستوى التعليم والمعرفة والمهنة والتدريبِ والابتكار والبحثِ العلمي.

- **مؤشِّرات الخدمات الاجتماعيَّة**: وتتعلَّق بمستوى توفير الخدمات الأساسيَّة والضروريَّة للأفراد والجماعات في المجتمع، مثل الإسكان والمياهِ والكهرباء والمواصلات والاتِّصالاتِ والترفيه والرياضة وغيرها.

- **مؤشِّرات المشاركة الاجتماعيَّة**: وهي تتناول مستوى مشاركة الأفراد والجماعات في العمليَّة التنمويَّة والقرارات المتعلِّقة بها، وفي الحياة السياسية والمدنية والتطوُّعية والتنظيميَّة في المجتمع.

ونتيجةً لما سبق يُمكن القولُ بأنَّ التنمية الاجتماعية تعني الارتقاءَ بالمجتمع وأفرادِه، والتكافل الاجتماعي بينهم، ومعالجةَ المشكلات الاجتماعية المختلفة؛ إذ لا يُمكن أن تتحقَّق التنمية الاجتماعية إلَّا بتحقُّق أبعادها المختلفة بأكملها وهي:

(الاقتصادية والاجتماعية والصحيَّة والتعليمية.. إلخ)، وقد استطاعت الأوقافُ في الحضارة الإسلامية أن تقدِّم جهدًا مهمًّا في تحقيق هذه التنميات المختلفة.

المبحث الثاني

العلاقة بين الوقف والتنمية الاجتماعيَّة

وخاصَّة في المجال التعليمي

العلاقة بين الوقف والتنمية الاجتماعية هي علاقةُ تكاملٍ وتعاون، فالوقف هو أحد الأساليب الإسلامية لتحقيق الخير والبرِّ في المجتمع، والتنميةُ الاجتماعية هي الهدف الذي يسعى إليه المجتمع لتحسين مستوى الحياة والرفاهية لأفراده وجماعاتِه.

وفي المجال التعليمي، كان للوقف أثرٌ بارزٌ في نشر العلم والمعرفة وتأهيلِ الأجيال وتنوير العقول، فقد أقام المسلمون العديدَ من المدارس والجامعات والمكتبات الوقفيَّة التي كانت مراكزَ للتعليم والبحثِ والتواصلِ العلمي، وقد استفاد منها العديد من العلماء والمفكِّرين والمُبدعين في مختلف العلوم والفنون، كما قام المسلمون بوقف الكتب والمخطوطات والأدوات العلمية والمِنَح الدراسية والرواتب للمعلِّمين والطلَّاب والباحثين، وذلك لتسهيل الحصول على العلم والمعرفة والتشجيعِ على الاجتهاد والابتكار.[1]

وبعد تتبُّع مادَّة هذه الدراسة وموضوعاتها ومصادرها تبيَّن أنَّ للأوقاف أثرًا في البناء الحضاري والتنموي للدول الإسلامية، وتلبيةِ حاجات المجتمع المتنوِّعة ودعمِ البرامج النافعة لعموم الناس، ويحفل التاريخ الإسلاميُّ بتجارب الأوقاف التي حقَّقت مصالح المسلمين منذ عهد النبوَّة إلى عصرنا الحاضر، وتشهد بذلك الأدلَّة ونصوصُ السنَّة النبويَّة، والتاريخ الإسلامي، والسجلَّات والوثائق الخاصَّة

١ الوقف ودوره في التنمية الثقافية والعلمية، ١/ ٤٣.

بالأوقاف التي شُيِّدت لدعم أعمال البرِّ والخير والتنمية مثل بناءِ المساجد والمدارسِ والمكتباتِ والمعاهد والجامعات.

فقد ارتبط نظامُ الوقف بمجموعة كبيرةٍ من الأنشطة والمؤسَّسات والمشروعات، كان لها الأثرُ الكبير في تدعيم البناء الاجتماعي، فكان للوقف أثرٌ كبيرٌ في دعم مجال التعليم والمعرفة والبحث العلمي الذي له الأهميَّة الكبيرةُ في تقدُّم المجتمعات العربية والإسلامية وتطوُّرها.[١]

ويُعَدُّ الوقف من المؤسَّسات ذات الأهميَّة الكبيرة، لدوره الأكبر في تنمية التعليم سواء داخل المدارس أو في المكتبات وغيرها من المؤسَّسات الخيرية، وممَّا تجدر الإشارة إليه هو الدور الحضاري الكبير الذي أسهم الوقف بتشييده من خلال الوقف على البحث العلمي بمراحله وأشكاله كافَّةً، والذي شمل الكثيرَ من أوقاف الكتاتيب والمدارس، وذلك لكون الإنفاق على التعليم من صور التقـرُّب لله تعالى.[٢]

وكان المسجد مركزَ الإشعاع العلمي، إذ إنَّ حلقات العلم كانت تدرَّس في بعض المساجد، ومنه تشعُّ الثقافة الإسلامية الأصيلة، وينبعث الوعيُ الديني، ويُعرف الحلال من الحرام، وفيه تُعرف فضائلُ الإسلام وآدابُه وأحكامه، ويجد المسلم القدوةَ الحسنة، ويحاكي الصالحينَ الأبرار، ويتعلَّم ضبط النفس، والصبرَ على الشدائد، والتحلِّي بالأمانة والعفَّة، كلُّ ذلك من خلال ما يسمعه ويراه من خطبٍ ومواعظَ ودروسٍ علميَّة؛ كانت تُعطى في الكثير من المساجد، ومن أمثلة ذلك الحَرَمَان الشريفان، ومسجدُ قباءَ الذي أسَّسه الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم حين قدِم مهاجرًا الى المدينة وهو وقف، والأزهرُ الشريف في مصر، والقرويِّين في المغرب، والزيتونة في تونس،[٣] ومن خلال المدارس التي انتشرت انتشارًا كبيرًا، وقد وفَّر الوقفُ الموادَّ لهذه المدارس، أي إنَّ التعليم في العالم الإسلامي منذ إنشاء المدارس كان مَدِينًا للوقف.[٤]

١ الوقف الإسلامي وأثره في التنمية الاقتصادية، ١٦٧.

٢ الوقف على البحث العلمي وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، ١/ ٧.

٣ نحو استراتيجية تنموية لتطوير الوقف التعليمي لتمويل التعليم الجامعي في فلسطين، ٢٣.

٤ الوقف ودوره في التنمية الثقافية والعلمية، ١/ ٤٦؛ بتصرُّف.

ولا يتوقَّف دور الوقف على دعم عمليَّة التعليم بشكلٍ عامٍ، وإنَّما اشتمل الدعمُ على عناصر العمليَّة التعليمية، فلم يغفل الوقفُ القائم بالعمليَّة التعليمية أو المستفيد منها، فقد كان من مصارف الوقف ما يُصرَف على شكل رواتبَ ومعاشاتٍ للمعلِّمين، أو أجورٍ تُصرَفُ للمتعلِّمين من الفقراء، أو ممَّن يكون التعلُّم له سببًا في تركه لبعضِ أعماله التي يقتات منها، بمعنى أنَّ الوقف كان يستوعب المصارف التفصيليَّة أيضًا إضافةً إلى المصارف العامَّة، كما أنَّه لم يتوقَّف عند هذين الصنفينِ، وإنَّما تعدَّى ذلك إلى الصَّرف على مقوِّمات العمليَّة التعليميَّة من أبنيةٍ ضرورية أو أثاثٍ أو أدوات تيسِّر التعليم، وتجعله متاحًا وميسَّرًا.

تجربة الجامعات التُركيَّة[1]

عرفت تُركيا تطوُّرًا كبيرًا في توسيع مجالات الوقف، وقد انعكس ذلك على مستوى جامعاتها، إذ تكاد تتوفَّر على جامعة واحدة في كلِّ مدينة، ووصلت فيه الجامعات الوقفيَّة إلى (٨٢ جامعةً)، وتسعى بها نحو تخصُّصات حديثة، تشمل مجالاتٍ بحثيَّةً متطوِّرة جدًّا، وكان ذلك نتيجة وعي الدَّولة بأهميَّة التعليم الجامعيِّ الذي ينصُّ دستورُها على (وُجوب توفيره لكلِّ مواطن)، وأهميَّة الوقف الذي يقوم على تشجيع رجال الأعمال لدعم البحث العلمي بإنشاء (جامعات وقفيَّة)، تتحقَّق فيها شُروط الجودة العالية، وتغطِّي ما قد تعجز عنه الجامعاتُ الحكوميَّة؛ وذلك بالتَّوجُّه نحو التَّخصُّصات الحيويَّة النَّادرة التي يتطلَّبها سوق العمل التي تفتقر إليها الجامعات الحكوميَّة؛ بسبب كُلفتها العالية، مثل:

النَّانوتكنولوجي (Nanotechnology)، والبيوتكنولوجي (Biotechnology)، والحاسبات الفائقة (Super-computers)، وعلوم الفضاء (Space Science)، والطَّاقة النَّوويَّة (Nuclear Energy)... وغيرها».

إذ يوجد بمدينة إسطنبول وحدها (٤٢) جامعةً؛ منها (٩ جامعات حكوميَّة)، و(٣٣ جامعةً وقفية)، وكلُّ جامعةٍ لها ميزةٌ تنافسيَّة، فهناك تنوُّعٌ في التخصُّصات أمام

١ أثر الوقف في البحث العلمي والنهوض الحضاري (نموذج الوقف على الجامعات)، ١٣.

الطالب، وقدرةٌ للجامعات على تأمين احتياجات السُّوق المحليَّة من الخرّيجين في كلِّ المجالات تقريبًا، لتصبح الجامعات الوقفيَّة جزءًا مهمًّا وركيزةً أساسية من منظومة التَّعليم العالي في تركيا، ونموذجًا جديدًا للتَّعليم الحديث، بفضل (وقف الدَّراهم)، التي كان وقفها وقف النُّقود عمليًّا، إذ إنَّه يُنشِّط التجارة بتمويله للتجَّار والحرفيِّين في المجتمع المحلِّي ويُؤمِّن دخلًا ثابتًا للمنشآت التي تُقدِّم الخدمات الاجتماعيَّة المجَّانيَّة للسكَّان ومنها التَّعليم.

ولعلَّه الأمرُ الذي دفع بالحكومة التُّركيَّة إلى إنشاء (**الجامعات الوقفيَّة**)، بدءًا من سنة ١٩٨٤م، بموجب المادَّة رقم (١٣٠) من الدستور الذي جاء في دِيباجته ما يطمح إليه الأتراكُ من (الحفاظ على الوجود الدَّائم والازدهار والرَّفاه المادِّي والرُّوحي لجمهوريَّة تركيا، وتحقيق معايير الحضارة المعاصرة بوصفها عضوًا مشرفًا متمتِّعا بالحقوق المتساوية مع أسرة دول العالم، وهذ المسعى الوقفيُّ أدخَل تركيا في نطاق التَّرتيب العالمي لأفضل ٥٠٠ جامعةٍ على مستوى العالم، وهو ما يدلُّ على ارتفاع مستوى جودتها وفاعليَّتها، وممَّا ساهم في النُّهوض الحضاري لتُركيا المواءمةُ بين مخرَجات الوقف ومخرَجات الجامعة بتطبيق مبدأ "الحلول المتزامنة المتعدِّدة الخلاَّقة".[١]

ولهذا كان الوقف مصدرًا رئيسًا لنشر العلم وتمكين الطلَّاب من إكمال دراسات متخصِّصة فقد وظَّف أمواله لتكون سببًا في تحقيق إنجازاتٍ رئيسة في كثير من الفروع،[٢] وعلى سبيل المثال سعت جامعةُ الملك سعود إلى تمويل مشروعها العلمي عن طريق برنامج الأوقاف بحيث تكون مواردُها الماليَّة الذاتيةُ هي مواردُ يُسهم بها الوقفُ، ونقلِ الجامعة الى المستوى العالمي، وكذلك دعمِ أنشطة البحث والتطوير والتعليم،[٣] وهذا يُسهم في جعل الجامعة عالميَّةً من خلال الإبداع والتميُّز على مختلف الأصعدة، أمَّا في ديوان الوقف السنِّي في العراق، فقد سعى إلى دعم البحث العلمي من خلال تأسيس قسم الدراسات

١ الدرُّ المختار وردُّ المحتار، ٣/ ٣٩٢، ٣٩٩ – ٤٠١؛ نقلًا عن الفقه الإسلامي وأدلَّته، ١٠/ ٢٩٤.

٢ ضوابط دعم الوقف للموازنة العامَّة للدولة، ١/ ١٠٩.

٣ دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، ٣١٠ – ٣١١.

العليا في كليَّة الإمام الأعظم في العام الدراسي ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥، إذ فُتحت دراسةُ الماجستير، وفي العام الذي يليه فُتحت دراسة الدكتوراه، الأمر الذي يمثِّل نافذةً على تعزيز أثر الوقف في مجال البحث العلمي الأكاديمي.[١] وإنَّ الأموال الموقوفة على التعليم شملت مراحل العمليَّة التعليمية جميعًا وسائرَ جوانبها، ابتداءً من انشاء المدارس وتجهيزها وتوفيرِ العاملين فيها من مربِّين ومعلِّمين، وانتهاءً بإنشاء المكتبات وتجهيزها وإمدادِها بالكتب والإصدارات العلمية المختلفة،[٢] إذ يُعَدُّ وقفُ المكتبات والكتب من مفاخر الحضارة الإسلامية ومآثرِها التي فاقت بها سائر الحضارات،[٣] وبهذا يرتبط النشاطُ الكبير الذي يقوم به الوقف ارتباطًا وثيقًا في المراحل التاريخيَّة للحضارة الإسلامية جميعًا من خلال التعليم، فقد أسهم الوقفُ إسهامًا كبيرًا في العلم تعلُّمًا وتعليمًا وبحثًا، فحُقِّق الكثيرُ من الإنجازات العلمية والحضاريَّة التي شهدها العالم الإسلامي من خلال مرافق العلم والتعليم التي كانت تُغذَّى عن طريق الوقف.[٤]

وقد حثَّ الفقهاءُ على الوقف على طلبة العلم، لأنَّ أغلبيَّتهم من الفقراء، ولأنَّ العلم ينتفع به الفقيرُ والغنيُّ، وكذا الوقف على أماكن تلقِّي العلم[٥] إذ يقرِّر الفقهاء بأنَّ الوقف على التعليم يستوي في الاستفادة منه الكبير والصغير، والفقيرُ والغنيُّ، فلا يُحرَمُ أحدٌ من تلقِّي العلم، فله أن يأخذ من أموال الوقف إذا تحقَّقت فيه شروطُ الأخذ، ويستفيد من الأموال الموقوفة على التعليم، ولذا فإنَّ لجميع أفراد المجتمع الاستفادةَ من المدارس ودور العلم والكتب والمصاحف والمساجد.[٦] وفي العراق أسهم الوقف في العمليَّة التعليميَّة منذ عصوره الأولى، فأُسِّست الجامعةُ المستنصريَّة في بغدادَ في زمن الدولة العبَّاسية التي كانت منارًا للعلم في العراق، وكليَّة الإمام الأعظم التي تُعَدُّ منارًا للعلوم الشرعية، وقد ارتفع عددُ الطلبة المنتسبين إلى مدارس

١ الوقف الإسلامي وأثره في التنمية الاقتصادية، ١٦٩.
٢ دور الوقف الإسلامي في تفعيل مبدأ المسؤولية الاجتماعية للشركات، ١/ ٢٧.
٣ الوقف فضيلة إسلاميَّة وضرورة اجتماعية، ١/ ٥.
٤ الوقف الإسلامي والدور الذي لعبه في النمو الاجتماعي، ١/ ٢٢٧.
٥ حاشية ابن عابدين، ٤/ ٣٦٦؛ حاشية الدسوقي، ٤/ ١٨.
٦ الوقف في الشريعة والقانون، ١/ ٤٢.

الأوقاف في العراق من ١٢٦٦٥ طالبًا وطالبة عام ٢٠٠٥ الى ٣٠٤٨٣ طالبًا وطالبةً عام ٢٠١٢.[١]

وقد أسهم الوقف في نشر العلم من عدَّة أوجهٍ أهمُّها:

أوَّلًا: إنشاءُ المساجد والكتاتيب: من الأماكن التي اهتمَّت مؤسَّسة الأوقاف باحتضانها قديمًا وحديثًا المساجد، وخاصَّة التي تحتاج منها إلى رعاية إضافةً إلى القيام ببناء المساجد الجديدة التي كان لها الدورُ الكبير الفعَّال في انتشار العلوم المختلفة، إذ أصبح المسجد مدرسةً تُقام فيها حلقات التعليم.

ولم يقتصر أثرُ المساجد على العبادة والتلاوة والذكر فحسب، بل تعدَّى أثرُها إلى أن تكون معاهدَ للتعليم ومدارسَ للقرآن، وذلك منذ بداية انتشار الإسلام وإلى يومنا هذا، ونتيجةً لهذا الدور الكبير فقد انتشرت المساجد والجوامعُ المحبَّسةُ في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فلا تكاد تخلو مدينةٌ أو قرية من هذه المساجد المحبَّسة، وقد أسهمت الأوقافُ في توفير ما يحتاجه طلَّاب العلم في هذه المساجد.[٢]

وقد أجاز الفقهاء الوقفَ على المساجد والمرافق اللازمة لقيامه بدوره، ومن إقامة المرافق التابعة له من حمَّامات، وأماكنَ للوضوء، وفرشٍ للمسجد ومكان إقامةٍ للإمام والمؤذن... ونحوِ ذلك ممَّا يحتاجه المسجد عادةً.[٣]

وقد بلغت المساجد التي أسهم الوقف في إنشائها عددًا كبيرًا، وشملت مختلف بلدان العالم الإسلامي وقراه وطرقه في مكَّة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء والقاهرة ودمشق وبغداد وغيرِها من البلاد الإسلامية.[٤]

ولم يقتصر بناءُ المساجد والإنفاقُ عليها من قِبَل الوقف في نفس البلد التي يُقيم فيها الواقف، بل تعدَّاه إلى البلدان الإسلامية الأخرى، ومن ذلك أوقاف الحرمين

١ الوقف الإسلامي وأثره في التنمية الاقتصادية، ١٦٨.

٢ نوازل العلمي، ٢/ ٩٠؛ عظم أهميَّة المسجد في الإسلام،١/ ٣٠ – ٣٧.

٣ مغني المحتاج، ٢/ ٣٧٨؛ الوقف في الشريعة والقانون، ١/ ١١٣.

٤ انظر في ذلك على سبيل المثال: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٣/ ١٥ وما بعدها؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٢/ ٢٤٥.

الشريفين وثالثِهما المسجد الأقصى التي كانت تُوقف لها الوقوفُ في مختلف الدول الإسلامية،[1] ومثل هذا الوقف يبرِّره رغبةُ الواقفين على جعل أوقافهم في أماكن تمتاز بالقدسيَّة ابتداءً؛ فحينئذ يتحصَّل لهم الأجرُ المضاعف.

فأصبحت هذه المساجد مراكزَ نورٍ وإشعاع، إذ كانت عبارةً عن مدارس غيرِ منفصلةٍ عن المساجد، وقد تكفَّل لها الوقف بالتمويل اللازم سواء في ما يخصُّ النفقات الرأسماليَّة، أو النفقات الجارية، من رواتبَ وصيانةٍ ومكافآت ... إلخ؛ وبجانب إنشاء المساجد فقد أسهم الوقفُ في إنشاء الكتاتيب التي ملأت العالم الإسلامي التي كانت ملحقةً بالمساجد، وهي تشبه إلى حدٍّ كبير المدارسَ الابتدائيَّة في الوقت الحاضر، حيث كان يُدَرَّس فيها بعض العلوم،[2] مع التركيز على القراءة والكتابة، وحفظ القرآن والعلوم الأوَّلية ... وانتشرت هذه الكتاتيب بكثرةٍ في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وكان تمويلُها بأموال الوقف، وقد شمل ذلك الإنفاق على الطلَّاب، وعمارة المدارس ومدَّها بالأثاث واللوازم المدرسيَّة، ودفعَ مرتَّبات العاملين والمدرِّسين، كما شملت توفير مساكن الطلَّاب والإنفاق على إعاشتهم وعلاجهم وكسائهم، ومن أبرز المدارس التي ظهرت في عهد الأيُّوبيّين المدرسةُ الصالحيَّة بمصرَ، وهي أوَّل مدرسةٍ درَّست المذاهب الأربعة،[3] وقد أُوقفت عليها أموالٌ كثيرة، ثمَّ ظهرت المدرسةُ الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس سنة (٦٢٦هـ) في القاهرة،[4] والمدرسة المنصوريَّة[5] والمدرسة المسعوديَّة

---

١ الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، ١/ ٦٣.

٢ من روائع حضارتنا، ١/ ١٢٩.

٣ المدرسة الصالحيَّة: أنشأها السلطان الصالح نجم الدين أيُّوب سنة ٦٤٠هـ، ١٢٤٢م، وترجع أهميَّتها إلى النظام الأربعي الذي اتَّسع لتدريس المذاهب الأربعة (الشافعي - الحنفي - المالكي - الحنبلي) في بناء واحد. ينظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥/ ١٦٢؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤/ ٢١٧.

٤ المدرسة الظاهريَّة: بناها الأمير جمال الدين يغمور بأمر من السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الذي كان مقيمًا آنذاك في الشام، فأرسل الى الأمير جمال الدين كتابًا يدعوه فيه إلى بناء هذه المدرسة "وأن لا يستعمل فيها أحدًا بغير أجرة، ولا يُنقص من أجره شيئًا"، فشرع في بنائها في سنة (٦٦٠هـ، ١٢٦١م)، وانتهى منها في سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م). ولم يبدأ في بنائها حتَّى رتَّب السلطان وقفها. ينظر: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ١/ ٤٠؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٧/ ١٢٠.

٥ المدرسة المنصوريَّة: شرع في بنائها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفيُّ بعد تسلُّمه للسلطنة، ومعها أيضًا

ببغداد التي اهتمَّت بتدريس المذاهب الأربعة والطبِّ،[١] والمدرسة الصلاحيَّة بحلبَ،[٢] ومدارس مكَّة الأربعة التي أنشأها السلطان سليمان القانونيُّ (٩٢٧هـ).[٣] ويعبِّر الرَّحَّالة ابنُ جبيرٍ عن دَهْشته ممَّا شاهده في القاهرة بمدرسة الإمام الشافعيِّ ومدارسِ الطبِّ التي أُلحقت بالمستشفيات، وقد احتوت مدينة صِقِلِّية على ثلاث مئة كتاب، وكانت تتَّسع لعددٍ كبير من الطلَّاب.[٤]

وحسبنا أن نأخذ مثالًا لذلك المدرسة المستنصريَّة، فقد ذكر ابنُ كثير الآتي: "سنة إحدى وثلاثين وست مئة فيها كمل بناءُ المدرسة المستنصريَّة ببغداد، ولم تُبن مدرسةٌ قبلها مثلها، ووُقفت على المذاهب الأربعة من كلِّ طائفة اثنان وستون فقيهًا، وأربعة مُعيدين، ومدرِّس لكلِّ مذهب، وشيخُ حديثٍ وقارئان وعشرةُ مستمعين، وشيخُ طبٍّ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطبِّ، ومكتبٌ للأيتام، وقدرٌ للجميع من الخبز واللحمِ والحلوى والنفقة ما فيه كفايةٌ وافرة لكلِّ واحد... ووُقفت خزائنُ كتبٍ لم يُسمع بمثلها في كثرتها وحُسن نُسَخها وجودة الكتب الموقوفة بها... ووقف عليها المستنصرُ أوقافًا عظيمة؛ حتَّى قيل إنَّ ثمن التبن من غلَّات ريعها يكفي المدرسة وأهلَها... فكانت هذه المدرسة جمالًا لبغداد وسائر البلاد".[٥]

فهكذا كان الوقف في سالف أيَّام الأمَّة، وهكذا يُمكن أن يتصدَّى الوقف لهذه المهمَّة في عصرنا الحاضر.

بنى المارستان والقبلة سنة (٦٨٣هـ)، ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،٣/ ٣٢٣.

١ المدرسة المسعوديَّة: مدرسة تاريخية يعود تأسيسُها عهد المغول في بغداد، تُنسب إلى خواجة مسعود بن سديد الدولة، وهو من أكابر المدينة، وكان يهوديًّا ثمَّ أسلم. وقد عمَّر ابنُه مسعود الشافعي هذه المدرسة، وجعلها وقفًا على المذاهب الفقهية الأربعة على صفة المدرسة المستنصرية، وأوقف عليها أوقافًا كثيرة، وأنشأ فيها دار كتب. ينظر: بغداد، ١/ ١٦٧.

٢ المدرسة الصلاحيَّة: أوقفها الأمير صلاح الدين يوسف الدوادار، وكانت أوَّلًا دارًا لبني العديم، ثمَّ انتقلت إلى صلاح الدين يوسف بن الأسعد بالطريق الشرعيِّ فكانت داره، وكانت نفيسةً بها رخام من الألوان المختلفة، فجعل لها محرابًا وجعلها مدرسةً على مذاهب الأئمَّة الأربع في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة. ينظر: كنوز الذهب في تاريخ حلب، ١/ ٣٣٥.

٣ دور الوقف في العمليَّة التعليمية، ١/ ٧١٨؛ تاريخ المدارس الوقفيَّة في المدينة المنوَّرة، ١/ ٤٦٣.

٤ الدور الاجتماعي للوقف، ١/ ٢٣١.

٥ البداية والنهاية، ١٧/ ٢١٢، ١٣/ ١٨٦.

ثانيًا: الوقف على الكتب والمكتبات

الكتاب أداة من أدوات التعلم، لا يستغني عنه عالمٌ أو متعلِّم، ولذلك بادر المسلمون وأهلُ الخير والفضلِ بوقف الكتب والمكتبات، حتَّى لا تكاد تجد مدينةً تخلو من مكتبة عامرةٍ بالكتب، وذلك من خلال إيقافهم العديدَ من الأوقاف على المكتبات التي عُرفت بعدَّة أسماء مثل خزانة الكتب، وبيتِ الكتب، ودارِ الكتب، ودار العلم، وبيت الحكمة، ودارِ القرآن، ودار الحديث. ويسَّرت هذه المكتبات العلمَ للراغبين فيه دون نفقاتٍ وعلى مستويات مختلفة، فقد أسهمت الأوقافُ في تعضيد أسس التعليم عن طريق إيقاف هذه المكتبات والكتب، ممَّا جعل هناك استمراريَّة في انتشار التعليم، كما أنَّ المدارس والجامعات استلزمت أن يكون فيها دُورُ كتبٍ خاصَّة بها؛ ممَّا جعل المحسنين يُوقفون عليها الأموال اللَّازمة لها، وقد احتوت هذه الدُّور أو الخزائنُ على مختلف العلوم التي صُنِّفت بحسب مواضيعها؛ فسهَّلت على الطلبة والباحثين.[1]

والمكتبات الوقفيَّة منها ما كان ملحقًا بجامع أو مدرسة أو مستشفى، ومنها ما كان مستقلًّا، وقد نالت أكثر هذه المكتبات شهرةً؛ لما احتوته من نفائس الكتب التي يحتاجها طلَّاب العلم.

ومن أجمل ما يمكن أن نَصِف به ما تُمثِّله المكتبات الوقفيَّة في حياة الأمَّة الإسلامية أنَّها كالعين التي تفيض بالماء، فهذه العينُ تفيض بماء الحياة من العلوم والمعارف، تجري منه أودية الثقافة تسقي مختلفَ العقول، فينتجُ منها مختلفُ الثِّمار تُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها، تكون هذه الصورةُ لحقلٍ باهي الجمال، متناسق الأركان من الحضارة الإسلامية، قطفت البشريةُ من ثمار هذه العين حضارةً بلغت أوجَ عزِّها ومنعتها، هذه العينُ مع مرور الزمان تقادمت أدواتُ الاستفادة من مَعِينها، فأصبحت في حاجة ملحَّةٍ إلى إدخال الوسائل الحديثة؛ حتَّى تعود إلى سابق عهدها،

١ الوقف العلمي ودوره في النهضة، المؤسَّسة العربية للعلوم والتكنلوجيا نموذجًا، ١/ ١١؛ دور الوقف في العمليَّة التعليمية، ١/ ٧٢٠.

وتُعيد مجدها التليد.[١]

أمَّا "بالنسبة للمكتبات في الإسلام، فهي نتاج طبيعيٌّ للحضارة العربية الإسلامية، وانعكاس واضحٌ لها، وقد أسهمت هذه المكتبات في توسيع نطاق هذه الحضارة، وفي الحفاظ عليها ونقلِها سليمةً إلى الأجيال المسلمة المتعاقبة، وعندما اتَّسع أفقُ المسلمين الثقافيُّ وازدهرت حضارتُهم، وتنوَّعت اهتماماتُهم الفكرية والعلمية؛ ازداد عددُ المكتبات وتنوَّعت أغراضها حتَّى شملت جميع أنواع المكتبات"؛[٢] فأُنشئت الكثيرُ من المكتبات في مختلف المدن الإسلامية، فقلَّما تجد مدينةً إلَّا وفيها مكتبةٌ يستفيد منها أهلُها والزائرون لها، وكانت تلك المكتباتُ مُلْحقةً في الغالب بالمساجد التي كانت أشبه بالجامعات في وقتنا المعاصر، فيتحقَّق لطلَّاب العلم الفائدةُ من وجود قاعات الدرس، وأماكنَ للبحث والاطِّلاع والتصنيف.

فمن هذه المكتبات: مكتبةُ بيت الحكمة ببغداد، ودارُ العلم بالموصل ودار العلم ببغداد، وبيتُ الكتب بالبري، ودار الحكمة بالقاهرة، ودارُ الكتب بفيروزآباد بإيران، وخزانةُ الوزير المغربيِّ في منطقة الجزيرة بالشام، وخزانة الكتب بحلب، ومكتبةُ الحكم بالأندلس، ومكتبةُ بني عمَّار بطرابلس (لبنان)، ومكتبةُ الفتح بن خاقان ببغداد، ومكتبة بني جرادة ببغداد، ودارُ الكتب في مدينة ساوة شمال إيران، ومكتبةُ عارف حكمت بالمدينة المنوَّرة، وغيرُها من المكتبات التي حوت الكثير من المراجع في شتَّى العلوم.[٣]

كما إنَّ أكثر المساجد والجوامع الكبيرة في المدن الكبرى كانت لها مكتباتٌ، كمكتبة الحرم المكي، ومكتبةِ المسجد النبوي، ومكتبةِ الجامع الأزهر، ومكتبةِ جامع الزيتونة، ومكتبة الجامع الأموي، ومكتبةِ جامع غرناطة، وغيرِها من المكتبات.

يتَّضح ممَّا سبق الدورُ البارز الذي أسهم به الوقفُ في النهضة الشاملة للمجتمع الإسلامي عامَّةً والنهضة العلمية والتعليمية خاصَّة، في مدَّةٍ كان المجتمعُ أحوجَ ما

١ المكتبات الوقفيَّة الإسلامية ومتغيرات عصر المعلوماتية، ٣٤.

٢ مكتبات المساجد، ٧٤ – ٧٥.

٣ الوقف العلمي ودوره في النهضة، ١/ ١٢؛ دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، ١/ ٢١٨ – ٢١٩.

يكون فيها إلى العلم.

ولِما سبق ذكره أقول: للاستفادة من الأموال الوقفيَّة في مجال العمليَّة التعليمية، وتوجيه الموسرين إلى هذا الجانب بوصفه قربةً إلى الله جلَّ وعلا، وهو من الصدقة الجارية التي يستفيد منها المسلم في حياته وبعد موته.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية ينبغي عمل الآتي:[1]

١. نشرُ الوعي بين أفراد المجتمع عامَّة والموسرين خاصَّة، وتعريفُهم بأنَّ الوقف على التعليم قربةٌ إلى الله تعالى، وأنَّه من الصدقة الجارية.

٢. إظهارُ الدَّور الرائد الذي أسهم به الوقف في تطوُّر المجتمع الإسلامي وتقدُّمه عامَّة، وفي مجال التعليم خاصَّة.

٣. التنسيقُ مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الاستفادة من ريع بعض الأوقاف، أو الوقف المباشر على إنشاء بعض المرافق التعليمية.

٤. التعريفُ بالمجالات التي من الممكن أن يُسهم الوقف فيها في العمليَّة التعليمية سواء كانت مشاريع إنشائيَّةً، كبناء المدارس والمصلَّيات، أو تجهيزيةً، كالوسائل والأثاث.

٥. وضعُ الإجراءات واللَّوائح المنظِّمة لعمليَّة الوقف في مجال التعليم، لكي تكون الصورة واضحةً تمامًا أمام الواقفين؛ ممَّا يبصِّر الواقف عند إرادته الوقفَ في هذا المجال.

٦. دراسةُ الاحتياجات التعليمية التي يمكن الإنفاق عليها من الأموال الوقفيَّة وحصرُها، وترتيبها وَفق أولويَّاتٍ معيَّنة وضوابطَ محدَّدة.

٧. من أجل تطوير التعليم الوقفي بكلِّ أشكاله يُقترَح إنشاءُ الوقف الجامعي.

ومن خلال ما تقدَّم حول دور الوقف في العمليَّة التعليمية يُمكن الخروج بعدد من النتائج الآتية:[2]

١ دور الوقف في العمليَّة التعليمية، ١/ ٧٣٢ - ٧٣٣.

٢ دور الوقف في العمليَّة التعليمية، ١/ ٧٣٨.

١- قام الوقف بمهمَّة رائدةٍ في تقدُّم المجتمع المسلم في عصوره المختلفة كافَّةً، وأسهم إسهامًا فعَّالًا في بناء الحضارة الإسلامية.

٢- إنَّ للوقف دورًا بارزًا في النهضة العلمية في المجتمع الإسلامي بما وفَّره من أموال عظيمةٍ شجَّعت على طلب العلم، ووفَّرت لأفراده كافَّةً فرصًا متكافئة في طلبه.

٣- إنَّ المسلمين اهتمُّوا بالوقف، فوقفوا على جوانبَ كثيرة، كالمساجد والمستشفيات والمدارس والسِّقايات وحفرِ الآبار وإقامة الجسور ورعاية ذوي الحاجات وغيرِها.

٤- لم تكن الحركة العلميةُ الشاملة في المجتمع الإسلامي المدعومةُ بالأموال الوقفيَّة مقتصرةً على علم أو تخصُّصٍ واحد، دون آخَرَ، بل شملت جميع أنواع العلوم والمعرفة، والوسائل والأدوات المعينة عليها.

المبحث الثالث

التحدِّيات والمشكلات التي تواجه الوقف في العصر الحاضر والرؤى والمقترحات لتفعيل دوره في التنمية الاجتماعية وخاصَّة في المجال التعليمي

الوقف هو مؤسَّسة إسلامية قديمة ومتجدِّدة، تهدف إلى حبس العين والتَّصدُّق بالمنفعة على مصرفٍ مباح؛ لتحقيق القربة من الله تعالى والمصلحة للمجتمع، وقد قدَّم الوقفُ خدمة كبيرة في تنمية الحضارة الإسلامية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية وغيرِها، ولكنَّ هذا الوقف في العصر الحاضر يواجه العديد من التحدِّيات والمشكلات التي تقلِّل من فعاليَّته ودورِه في التنمية. **ومن هذه**

التحدِّيات والمشكلات ما هو متعلِّق بالوقف لذاته مثل:

- قلَّةُ الوعي والمعرفة حول الوقف لدى عامَّة الناس، ممَّا يؤدِّي إلى مفاهيمَ خاطئةٍ وعدم استغلال المفهوم.[1]

- صعوباتٌ في إدارة ممتلكات الوقف بسبب الأُطُر القانونية القديمة ونقصِ الخبرة بين الأمناء.[2]

- عدمُ كفاية التمويل والموارد اللَّازمة لصيانة ممتلكات الوقف وتطويره.[3]

- تحدِّياتُ ضمان الشفافيَّة والمساءلة في إدارة الوقف.[4]

- اختلافُ الآراء في ما يتعلَّق بطرق استثمار الأوقاف وتنوُّعها ومعاصرتها للواقع وَفق الأدوات الحديثة.[5]

أمَّا في مشكلات الوقف المتعلِّقة بالتعليم، فيُمكن ذكر عددٍ منها:

١. قد ينحصر ذهنُ الوقف في إيقاف ماله على فئة الفقراءِ والمساكين، دون طالبي العلم؛ لقصورٍ في فهم الأجر وأهميَّة التعليم ودعمه.

٢. وهي نتيجةٌ للأولى؛ وهي أنَّ الصرف على التعليم يرتبط بشكل كبيرٍ بوعي الواقف ومدى فهمه واعتقادِه بضرورة الوقف على العلم ومجالاته.

٣. تراجع الأهميَّة الكبيرة لحلقات العلم ودُور العلوم الشرعية في تنمية المجتمع والحفاظ عليه من الآفات التي تهدد وجوده، وقد انسحب ذلك إلى تراجع قيمة العالِم ومكانته، وهذا بدوره جعل الواقفين لا يلتفتون إليه كثيرًا.

٤. إنَّ الأثر الذي يراه الواقف لماله في مجال التعليم غالبًا ما يكون بعيد المدى،

---

١ المشكلات التي تواجه الوقف في دعم دُور القرآن الكريم، ١/ ١١٢.

٢ الوقف في العصر الحديث، (مقال منشور على موقع مفهرس، ١٠ ديسمبر ٢٠١٩م.

٣ تحدِّيات الوقف المعاصرة ودور تقنيَّة البلوكتشين في حلها، ١/ ٢٦٥.

٤ الوقف في العصر الحديث؛ تحديات الوقف المعاصرة، ١/ ٢٦٦.

٥ المشكلات التي تواجه الوقف في دعم دُور القرآن الكريم، ١/ ١١٢.

وغير منظورٍ على المستوى القريب، ممَّا يجعل البعض منهم يتردَّدون في هذا الوقف فيحوِّلون أوقافَهم إلى مساراتٍ أكثرَ وضوحًا وأفصحَ أثرًا، وهو ما يشجِّعهم على الثاني دون الوقف الأوَّل.

٥. إنَّ الوقف على التعليم يحتاج استدامةً وإمكانيَّةً ماليَّة كبيرة من أجل الوصول إلى الهدف المرتجى من التعليم ودعمه، فهو مجالُ إنفاقٍ يدوم أطول من مجالات الإنفاق الأخرى، وعدم توفِّر الوقف اللازم والكافي لإدامة هذه المشاريع التعليمة الوقفيَّة أحدُ أسباب تأخُّر الوقف التعليمي وضعفِه.

ومن الرؤى والمقترحات لتفعيل دور الوقف في التنمية الاجتماعية، وخاصَّةَ في المجال التعليمي، ما يلي:

- نشرُ الثقافة الوقفيَّة بين المسلمين وتوعيتهم بأهميَّة الوقف وفضلِه ومقاصده وأنواعه وصيغِه، وأنَّه لا يقتصر على مصارف الزكاة الثمانية، وإنَّما يُمكن شمولُ مسار التعليم وتنوُّعه ليكون أحدَ مسارات الإنفاق الوقفي.

- توثيقُ المخرَجات التعليمية وتنظيمُها؛ كي تكون وسيلةً من وسائل جذب الواقفين لدعم مشاريع التعليم، فالواقف حينئذٍ سيرى مسار وقفه وآثارَه التي ستجعله يزيدُ من أوقافه، أو يبحث عن أوقافٍ بديلة، وعلى الرُّغم من أنَّ النيَّة هي لله تعالى إلَّا أنَّه يَعْنِيه التأكُّد من صحَّة تصرُّف الأمناء على ماله.

- إنشاءُ صندوقِ دعم العلماء؛ كي يلبِّيَ حاجة المعلِّمين، ويحقِّق لهم تفرُّغًا كافيًا لأداء مهامِّهم التعليمية، وإشغالهم أوقاتَهم بالتعليم بعد أن يُحقِّق لهم الوقفُ القدرَ الكافي لمعيشةٍ كريمة.

- العنايةُ بكفالة طالب العلم وتحويلُها من مشاريعَ موسميَّةٍ إلى صناديقَ مستدامة تعمل على إغناء طلبة العلم، وتعوِّض تفرُّغَهم من أعمالهم المعيشيَّة.

- العمل على إنشاء مؤسَّسة وقفيَّة تنسيقيَّة تعمل على تسويق مشاريع دعم التعليم، وتوفير مستلزماتها يتجاوز العمل الجزئيَّ والفرديَّ للمؤسَّسات المدنيَّة التي

تدعم التعليم.

- تنويعُ طرق استثمار الأوقاف وتطويرها وتوسيعُ مجالاتها ومصارفها وَفق الاحتياجات المعاصرة، وجعلُ المشاريع التعليمية ضمن هيكلها ومجالات الصرف فيها.

- تفعيلُ دور الوقف في دعم المشاريع والمؤسَّسات التعليمية والثقافية والبحثية والإعلامية وغيرها.

- إنشاءُ مؤسَّسات وقفيَّة عالميَّة متخصِّصة تهتمُّ بدعم الدول الفقيرة، وتطويرِ التعليم والتكنولوجيا والبحوث العلمية.[1]

الخاتمة

يتَّضح من خلال البحث أنَّ الوقف الإسلامي له دورٌ كبير في تحقيق التنمية الاجتماعية، وخاصَّةً في المجال التعليمي، إذ إنَّ الوقف كان وما يزال أحدَ أهمِّ مصادر تمويل المؤسَّسات التعليمية ودعمِها في العالم الإسلامي، وقد أسهم في نشر العلم والثقافة والحضارة بين الناس، وفي تربية الأجيال وتنميةِ قدراتهم ومواهبِهم، وفي تحصين المجتمع من الجهل والتخلُّف والانحراف.

وقد أظهر البحث بعضَ الشواهد التاريخيَّة والحضاريَّة لدور الوقف في التنمية التعليمية، من خلال استعراض بعض الأمثلة والنماذج للأوقاف التعليمية في العصور الإسلامية المختلفة التي تنوَّعت في أهدافها وأنواعِها وصيغِها ومجالاتها، وتميَّزت بالإبداع والتجديد والتطوير، وأَثْرت في تشكيل الهُويَّة الإسلاميَّة والحفاظ على التراث الإسلامي والتعريفِ به.

وفي ضوء ما تقدَّم، يُمكن القولُ إنَّ الوقف الإسلامي هو نظامٌ حضاريٌّ راقٍ، ومؤسَّسة خيرية فاعلة، ومنظومة تنموية شاملة، وأنَّه يحتاج إلى إعادة النظر فيه وتفعيلِه وتحديثه بما يتناسب مع المتغيِّرات العالمية والمحليَّة، وبما يُسهم في تحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات الإسلامية، وفي تحقيق رسالة الإسلام السمحة في الأرض.

١ الأوقاف التعليمية في الإسلام وأبرز التحدِّيات التي تواجهها، ١/ ٤٦٩.

النتائج

وكانت أبرز النتائج كالآتي:

١. الوقف مشروعٌ يرتبط بالشرع الإسلاميّ الذي يحثُّ المسلمين على استحبابه، وأنَّ التقرُّب بالوقف على التعليم ومجالاته مِيْزةٌ إضافيَّة، فهي تتجاوز النفع الخالص إلى المنافع الاجتماعيَّة، وتتجاوز الإعانة المؤقَّتة إلى الإعانة المستدامة.

٢. إ يجادُ تمويل مستمرٍ للوقف لت كلِّ أنواع التنمية؛ ومنها التعليميَّةُ من خلال التصدق والإنفاق في وجوه الخير، وزرع التراحمِ والمحبَّة بين المسلمين.

٣. تُعَدُّ المدارس والكتاتيبُ والمكتباتُ في تاريخ العالم الإسلامي شاهدًا على قدرة الأوقاف في إنشاء المؤسَّسات التعليمية ودعمها؛ صغيرِها وكبيرها.

التوصيات

بعد عرض النتائج يُمكن الخروج بعددٍ من التوصيات:

١. توعيةُ الناس بأهميَّة دور الوقف في دعم التعليم، وعدمُ اقتصاره على الجانب الديني كالمساجد فقط.

٢. الاستفادةُ من وسائل الإعلام بكلِّ أشكاله في حثِّ الناس على فكرة الصدقات والتبرُّعات للأوقاف، وخصوصًا التعليمية بما يخدم مصلحة المجتمع.

٣. الاستفادةُ من صور الوقف التعليمي في العالم ونماذجه، ومحاولةُ تطبيقه في عالمنا الإسلامي.

٤. الاهتمامُ بالأوقاف دولةً وشعبًا، وحمايتُها من التَّلف والضياع؛ لكي تقوم بدورها المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلَّم.

سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

المصادر والمراجع

• الأوقاف التعليمية في الإسلام وأبرز التحديات التي تواجهها، ميعاد بنت عبد الله آل نهلان، (المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، المؤسَّسة العربية للتربية والعلوم والأدب، مصر، المجلد السابع، العدد ٣١، يناير ٢٠٢٣م).

• البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: علي شيري، ط١، (دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

• بغداد، محمد مكية، (دار الوراق للنشر، لندن، ٢٠٠٥م).

• تاريخ المدارس الوقفيَّة في المدينة المنوَّرة، طارق بن عبد الله حجار، (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة، العدد ١٢٠، السنة ٣٥، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

• تحديات الوقف المعاصرة ودور تقنية البلوكتشين في حلها، محمد عبد الرحمن سلامة، (جامعة المدينة العالمية، مجلة العلوم الإسلامية العالمية، المجلد ٥، العدد١، مارس ٢٠٢١م).

• التربية وتنمية المجتمع العربي، عمر الشيباني، (الدار العربي للكتاب، ١٩٨٥م).

• التعليم وإشكاليات التنمية، حسن بن إبراهيم الهنداوي، ٢٠٠٤، نسخة الكرتونية.

• التنمية الشاملة والتنمية البشرية، مصطفى الكفري، (الحوار المتمدن، ع٨١٦)، ٢٠٠٤.

• التنمية وسبلها في العالم العربي، خالد العسل، مجلة المستقبل، (السنة الخامسة والعشرون، عدد ١١٠، ٢٠٠٣م).

• تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م).

• حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، (دار الفكر).

• حاشية رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين الشهير بابن عابدين، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

• حقيقة التنمية في العالم الإسلامي، عدنان الصالحي، (بيروت، دار منارة المعرفة، ط١، ٢٠١٠م).

• الدور الاجتماعي للوقف، عبد الملك أحمد السيد، ضمن وقائع ندوة إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف، تحرير: حسن عبد الله الأمين، (المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

• دور الوقف الإسلامي في تفعيل مبدأ المسؤولية الاجتماعية للشركات، حسين عبد المطلب الأسرج، (٢٠١٢م).

• دور الوقف في العمليَّة التعليمية، عبد الله بن عبد العزيز، المعيلي، (١٤٢٠هـ).

• دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، حسن عبد الغني أبو غدة، (المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

• السنن، أبو عبد الله بن ماجة القزويني، ت شعيب الارناؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩.

• صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، (وزارة الثقافة، مصر، ب ت).

• ضوابط دعم الوقف للموازنة العامَّة للدولة. منتدى قضايا الوقف الفقهية الرابع، طارق عبد الله، (الأمانة العامَّة للأوقاف، الكويت، ٢٠١١م).

• عظم أهميَّة المسجد في الإسلام، علي بن جابر الطيب، (مجلة التضامن الإسلامية، وزارة الحج والأوقاف، الرياض، العدد السابع والأربعون، ١١ جمادي الأوَّلى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

• كنوز الذهب في تاريخ حلب، سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل،

موفق الدين، أبو ذر، (دار القلم، حلب، ط١، ١٤١٧هـ).

• مدخل إلى التخطيط والتنمية، ماجد حسني صبيح ومسلم فايز أبو حلو، (جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ٢٠٠٠م).

• المشكلات التي تواجه الوقف في دعم دور القرآن الكريم، سهيل الأحمد، (كليَّة الحقوق، جامعة فلسطين الأهلية، بيت لحم، ٢٠١٩م، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد ١٥، العدد ٢، ١٥ مايو ٢٠١٩م).

• معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، (عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م).

• مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ط١، (دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

• مفرج الكروب في أخبار بني أيُّوب، ابن واصل، محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين، ت حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، (دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

• مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي، (دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩م).

• مكتبات المساجد، ربحي مصطفى عليان، (مجلة الهداية، عدد ١٦١ رجب ١٤١١هـ).

• المكتبات الوقفيَّة الإسلامية ومتغيِّرات عصر المعلوماتية، محمد بن علي شماخ، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، (ذو القعدة، العدد ١٨٣، ١٤٢٣هـ).

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ).

• النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر).

• نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ابن دُقْماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري، ت سمير طبارة، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

• نوازل العلمي، أبو عبد الله عيسى بن علي الحسيني العلمي، (طبعة فاس).

• الوقف الإسلامي وأثره في التنمية الاقتصادية، حسن لطيف كاظم، والسيد عقيل كنيوي طعيمه، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، (مجلة حوليَّة المنتدى، السنة الأوَّلى، العدد الأوَّل، ٢٠٠٨م).

• الوقف الإسلامي والدور الذي لعبه في النمو الاجتماعي، عبد الملك أحمد السيد، (المؤتمر الدولي الثاني للاقتصاد الإسلامي، إسلام آباد، ١٩٨٥م).

• الوقف العلمي ودوره في النهضة، المؤسَّسة العربية للعلوم والتكنلوجيا نموذجًا، عبد الله إبراهيم المغلاج، بحث مقدم إلى مؤتمر (أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية)، (الأمانة العامَّة للأوقاف، جامعة الشارقة، كليَّة الشريعة والدراسات الإسلامية، جمادي الآخرة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

• الوقف على البحث العلمي وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، إبراهيم عبد الحليم عبادة، بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر العلميّ الدوليّ الرابع بعنوان: (الوقف على البحث العلمي وأثره في الشهود الحضاري)، (كليَّة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، الأردن،١٤٣٧هـ).

• الوقف فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية، بركات محمد مراد، (مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٢٢٨، شعبان، ١٤٢٧هـ).

• الوقف في الشريعة والقانون، زهدي يكن، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

• الوقف في العصر الحديث، عمر الباشا، (مقال منشور على موقع مفهرس، ١٠ ديسمبر ٢٠١٩م)، رابط الموقع: https://www.mufahras.com.

• الوقف ودوره في التنمية الثقافية والعلمية، حسن عبد الغني أبو غدة، (مجلة الشريعة والقانون، العدد الثاني والعشرون، ذو القعدة ١٤٢٥هـ، يناير ٢٠٠٥م).

• الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، ناصر الدين سعيدوني، (مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، سوريا، العدد ٣، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م).